السلوك الاجتماعي والاخلاقي . اي ان واقعية جبرا لا تصل الى نهايتها لتكشف لنا علاقة هذه الطبقة ببقية الطبقات الاجتماعية الا تلميحا وبشكل سريع . مما يؤكد الفرضية الاساسية التي ذهبنا اليها في اعتبار آلية التغيير عند جبرا آلية ثقافية بشكل اساسي . وهذا ما يعود فيؤكده لنا الدكتور فالح في انتحاره على ظهر « السفينة » . هكذا تتلخص الواقعية بالافكار والمواقف . ويخفت صوت الفجيعة الفلسطينية في عملية اندماج سريعة بالتغير الاجتماعي .

٢ — الشخصيات المتعددة النوازع ، والتي نكتشف انها تنتمي في آخر تحليل الى نفس الطبقة الاجتماعية . لكنها تنفصل عنها في مسار تدمير الذات ، داخل تفسخ شامل. نكتشف قدرة الروائي على تحريك عدد كبير من الشخصيات في تواز مذهل مع تطور احداث الرواية .

في خاتمة الرواية ، يرتفع صوت جميل الفران ملخصا : « خلال الاشهر الطويلة التي تلت ، وبينما كنا ننتظر ، وبينما كان امثال عدنان وحسين وتوفيق يقذفون بأنفسهم على صفوف من السيوف السياسية والاجتماعية ، كانت الحدآت والغربان تطير أسرابا ناعقة فوق غياض النخيل التي تعمر ارضا تتجدد ببطء يوما بعد يوم » .

هكذا ، تصبح الخميرة الفلسطينية عامل تغيير هادىء وبطيء . لذلك يتراجع الشعر امام الواقع، يخفت صوت البحث التشكيلي ليرتفع مكانه صوت الحوار العقلاني . وتكتشف الرواية نفسها ارض ممارسة ايديولوجية ، لكنها هنا ، لا تسمح لجميع التناقضات بالبروز ، لانها خاضعة لنطق مسبق محكم الاغلاق .

عندما نعيد قراءة جبرا نكتشف بعده عن خط الرواية الفلسطينية الملتزمة (كنفاني ، حبيبي) ، فهو يحمل التزاما من نوع خاص . لذلك يغلب عنده الطابع الثقافي على كل شبكة الممارسة النضالية ، ويخفت صوت اللاجئين امام أصوات الطبقات القديمة .

البحث عن
زمن جديد

يقيم حيدر حيدر في زمنه الموحش ، حالة زمنية جديدة في تركيب الرواية العربية . فهو لا ينطلق من الذات ليتوقف عندها ، او ليجعلها محورا ترجسيا للعلائق مع الاخرين ، بل يمد الذات على مساحة شاسعة من العلاقات والخيبات ، حيث تصبح الانا ، مكانا نسمع في داخله صوت ارتطام العالم بالموت . شبكة من العلاقات تبدأ بالأنا (الراوي (وتمتد لتشمل منى وميساليا ، امينة، سامر ، وائل حتى نصل الى لحظة الانفجار مع صوت مناحيم بيغن الذي يرتفع ليمزق اوصالنا الاجتماعية ، لنصل في النهاية الى مراثي ارميا ومراثي الزمن العربي .

الشعر والحدث الروائي

تبدأ الرواية بالشعر ، صراخ يصل لحظة الموت بامتداد كاسح على جسد الآخرين . « ها هم قادمون من الجبال والسهول زحفا باتجاه المدن . في عيونهم غضب ، وعلى جباههم غبار ومجد منتظر . في الريح تخفق راياتهم وأصواتهم الجليلة تملأ سمع العالم ... مباركة الفقراء والرعاة ، والمنبوذين والحفاة ، وجميع الذين هبوا على صوت التاريخ فيموا شطره فجر ذلك اليوم المدهش » . وتنتهي في لحظة شعرية كذلك ، حيث ينحل كل شيء في زمن الهزيمة : « حزينا وعميقا أتاني صوت صمت الجرح :

للحزن وقت

وللرعد وقت » .

وبين هذين الحدين ، تمتد اللغة الشعرية بشكل دائري ، لتقوم بالتقاط لحظة الحزن كاملة في علاقات مجموعة من المثقفين ، يوحدهم زمن موحش، يمتد على اجسادهم ، يخترقها ، ويجعل للفشل

---

* حيدر حيدر : **الزمن الموحش** ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٣/١٢/١ .